

ولنتأمل فقط في الكتاب المطبوع.. صحيح أن الطباعة هي اختراع أوروبي، ولكن الورق الذي يمثل المادة الخام التي لا غنى عنها لأي كتاب.. هذا الورق هو اختراع صيني أخذه العرب وطوروه وهذبوه ثم أوصلوه إلى أوروبا. من ناحية أخرى فإن أي كتاب لا يمكن أن يتجسد إلا من خلال أبجدية معينة للغة من اللغات.. فمن مخترعو الأبجدية في العالم؟ ليسوا هم الأوربيين على أية حال.

فالمعروف تاريخياً، أن الفينيقيين الساميين المتفرعين من الأرومة العربية، بمعناها الشامل، هم مخترعو أول أبجدية في العالم كرموز صوتية مكتوبة تتخذ شكل الأحرف.. فهل يصح، والحالة هذه، أن يأتي الأوروبي بكتابه المطبوع الصقيل المتقن.. ويقول لنا.. انظروا!.. هذا الكتاب المطبوع صناعة أوروبية خذوها بأفكارها.. أو لا شأن لكم بها!

ولكن هذه الأخلاقية الأوربية لن تحجب الحقيقة. حقيقة أن الحضارة الحديثة.. الحضارة الإنسانية الشاملة التي اصطادها الأوروبي الغربي ووضع عليها فناعه وسحنته ولكنته، لن تظل سجيناً في أوروبا إلى الأبد.. وستعود إلى أصحابها دون تمييز بين شرقي وغربي.. مع الاعتراف لكل صاحب فضل بفضله، ولكل صاحب عطاء حضاري بعطائه.. غريباً كان أو شرقياً.

تكنولوجيا الشرق

واليوم عندما يأتينا الكمبيوتر الياباني، والجهاز الإلكتروني الياباني المتفوق بذكاء اليابان الشرقي وإبداعه وجهده - على كل اختراع أوروبي.. هل هذا الجهاز تكنولوجيا أوروبية خالصة؟ وإذا كان كذلك فكيف نفسر أن التكنولوجيا اليابانية صارت تطارد المصنوعات الأوروبية والأمريكية في عقر دارها بعد أن تقدمت عليها؟ وكيف نفسر أن أمريكا طلبت رسمياً من اليابان أن تزودها بأسرار التكنولوجيا العسكرية في بعض المجالات الحساسة المتقدمة؟

إذن، بعد هذا التفكيك للفكرة - اللغم المشثومة، يتضح أن التخيير بين القبول والمطلق أو الرفض المطلق لا يقوم على أساس علمي تاريخي من تجارب الحضارة والتطوير البشري.